

المعتزلة المعاصرون وموقفهم من القرآن الكريم

الدكتور
حمود بن غزاي الحربي
الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة والدّراسات الإسلامية
جامعة القصيم

العدد الثامن
للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م
الجزء الثانى
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٢١٨٤/ ٢٠١٨م
الترقيم الدولي ISSN 2535-2350

ملخص البحث باللغة العربية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

المعتزلة المعاصرون وموقفهم من القرآن الكريم هو عنوان هذا البحث الذي تناولت فيه أهمية طرقه ومدارسته بين الفينة والأخرى لتعلقه بكتاب الله تعالى الذي أبى الله أن يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه إذ قال تعالى : وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"

وقد بينت فيه العلاقة الوثيقة بين المعتزلة القدامى والمعاصرين في الجناية على كتاب الله تعالى بالتحريف والتبديل وبينت الأسباب التي دعت المعتزلة المعاصرين لهذا الموقف من القرآن الكريم وسجلت مجموعة من الشواهد على ذلك من خلال كتبهم أو مقالاتهم توثيقا لذلك.

ثم بينت في النهاية آثار هذا الفكر المنحرف على الأمة وخطورته على مستقبل الأجيال القادمة وصده عن سبيل الله تعالى

وفي الخاتمة توصلت لمجموعة من النتائج وأوصيت بعدد من التوصيات لمقاومة ومواجهة هذا الفكر ، أسأل الله أن يتقبله بقبول حسن وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



Research summary

Abstract:

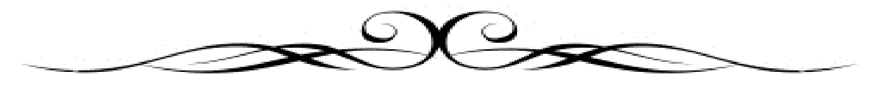
"All praise to Allah, and peace be upon the last prophet, Mohammad."

“The Modern Mu'tazila and their opinion about the Holy Quran” is the research title, in which I discussed how it is significant to study and analyze it thoroughly, as it is related to the untouched Holy Quran which Allah saved himself, saying “indeed, it is a mighty Book. Falsehood cannot approach it from before or behind; [it is] a revelation from a [Lord who is] Wise and Praiseworthy.”

I have shown the link between the Modern Mu'tazila and the ancient ones, as they have committed a crime by deviating and changing in it. However, I have discussed their so-called reasons of doing that; I have included some evidence of that right out of their books and articles, just for the sake of documenting.

At the end, I explained how their anomalous opinions affect the whole Muslims and the upcoming generations, as it averts people from the way of Allah.

Finally, I have come to punch of conclusions, and given some advice to overcome this thought at the end of the research. I ask Allah to accept it as a good deed. Peace be upon the prophet and may Allah forgive all his companions and kin.



بسم الله الرحمن الرحيم

المعتزلة المعاصرون وموقفهم من القرآن الكريم

مقدمة:

الحمد لله وحده خلق فسوى وقدّر فهدى، أحمدهُ ربي وأشكره وهو للحمد وللشكر أهلٌ، وأشهدُ أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين وأتباع التابعين إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛

فإنّ القرآن الكريم جعله الله تعالى هدىً للناس وبينات من الهُدى والفرقان، فرّق الله تعالى به بين الحق والباطل والظلمات والنور، والهدى والضلال كما قال تعالى: **﴿يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** [المائدة: ١٦]، وقال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**[الشورى: ٥٢]، وعندما استمسك السابقون بهذا الوحي كما جاء عن الله وعلى مرادِ الله تعالى فازوا فوزاً عظيماً، ألّف الله بين قلوبهم بعد شتات، ووحّد صفّهم بعد افتراق، وجمع كلمتهم بعد اختلاف، فكان قرنهم خير القرون كما أخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "**خَيْرُكُمْ قَرْنِي** ..." [1] ومضى هذا القرن بخيريته التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حدث الافتراق الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**

---

[1] انظر صحيح البخاري (٢٦٥١، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥)، وصحيح مسلم (٢٥٣٥).

وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[١].

وبعيداً عن الحديث عن ظهور الافتراق في الأمة وأسبابه وآثاره ،فأوجز حديثي في هذا البحث عن : **المعتزلة المعاصرين وموقفهم من القرآن الكريم**"

والمعتزلة إحدى الفِرَق التي ظهرت في القرن الثاني الهجري، ومهما اختلف الباحثون في تأريخ نشأتها، فإن الرأي الأقرب للصواب -والله أعلم- قول الأكثرية وهو أنّ رأس الاعتزال هو واصل بن عطاء وأنه نشأ ما بين سنة ١٠٥- ١١٠ للهجرة في البصرة نتيجة للمناظرة في أمر صاحب الكبيرة ثم خروج واصل برأيه المخالف لشيخه الحسن البصري، وبعد ذلك أضاف إلى رأيه في مرتكب الكبيرة آراءً أخرى أصبحت فيما بعد من أصول المعتزلة، ومن ثمّ أخذ كل عالمٍ من علمائهم يأتي برأيٍ حتى تكونت هذه الفرقة[٢].

كما أنني في هذا البحث لن أتحدث عن تأريخها ونشأتها وأصولها وفِرَقِها، فقد كُتِبَ عن هذا كثيراً[٣]، وليس هذا مقامه في هذه الورقات الموجزة المخصصة للحديث عن موقف المعاصرين منهم من كتاب الله تبارك وتعالى.

المعتزلة المعاصرون هم امتدادٌ للمعتزلةِ القُدامى في أصولهم وأفكارهم ومناهجهم -وإن لم يسموا أنفسهم معتزلة- فهم يحملون الأصول والمعتقدات الأولى سواءً ظهروا على شكل فِرقٍ كفِرقة الزيدية، أو على شكل أحزاب سياسية

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/٣٣٢)، وأبو داود (٤٥٩٨)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: "حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح".

(٢) المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد عبد الله المعتق، ص ٢٨، نشر دار العاصمة- الرياض ط١، ١٤٠٩هـ.

(٣) المرجع السابق، ويُنظر كتاب الفَرق بين الفِرق لعبد القاهر البغدادي ص ٩٧- ٩٨، وكتاب المِلل والنِّحل للشهرستاني ١/٤٧- ٤٨، وكتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص ٣٦، وغيرها كثير.



كحزب التحرير، أو على شكل مذاهب أدبية واجتماعية مثل الحداثيين والعقلانيين، وغيرهم.

وأسباب اختيار هذا الموضوع ما أوجزها فيما يلي :

١-الحديث عن المعتزلة المعاصرين وموقفهم من القرآن الكريم امتثالاً واستجابةً لقول الله تعالى:﴿**وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٥]، و من استبانة سبيلهم كشف زيوف باطلهم وشبههم التي افترَوْا فيها على كتاب الله تعالى.

٢- تأسياً بمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم في موقفهم مِنْ أهل البِدع بالرد عليهم وتفنيد شبهاتهم كالإمام البخاري في كتابه "خلق أفعال العباد"(١) والإمام أحمد بن حنبل في كتابه " الرَّد على الجَهْمِيَّة وَالزَّنادِقة" (٢)، واللالكائي، وابن بطة، والآجري، وابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهم الله تعالى.

٣- حماية وصيانة جناب الأمة في أغلى شيء تملكه "عقيدتها"، فإن فتنة الشبهات أخطر

من فتنة الشهوات، وقد تعددت وسائلها و كثرت برامجها في هذا الزمن فلا بدّ من دفع الصّائل بالقلم، والبيان، والحجة، والبرهان.

وسيكون الحديث في هذا الموضوع بمقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وبينتُ فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وما يتضمنه هذا البحث.

التمهيد: المعتزلة القُدامى والمعاصرون وحدة المنطلق وتكرار الجناية.

المبحث الأول: أسباب موقف المعتزلة المعاصرين من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الشواهد الدالة على ذلك من كتبهم.

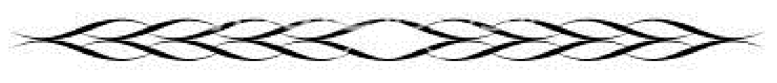
المبحث الثالث: الآثار المترتبة على هذا الموقف.

خاتمة وفهارس بالمراجع والموضوعات.

---

(١) كتاب نشرته دار المعارف بالرياض

(٢) كتاب مطبوع متداول نشرته دار الثبات للنشر والتوزيع، وحققه صبري شاهين.



التمهيد: المعتزلة القدامى والمعاصرون وحدة المنطلق وتكرار الجناية.

من سُنَنِ الله تعالى في أهلِ البدعِ التفرّق والافتراق فما أن تظهر الفرقة وتتكون حتى تنقسم إلى فرقٍ شتّى، والمعتزلة شأنها شأن بقية الفرق ظهرت وبرزت وقويت في عهد المأمون واستقوت به على ترويج باطلها أربعة عشر عاماً، ثم بدأت بالانكسار بعد تولي المتوكل للخلافة في سنة ٢٣٢هـ، ثم قويت مرة أخرى في عهد بني بويه سنة ٣٣٤ هـ في بلاد فارس بعد تلاقح أفكارها مع الفكر الرافضي وتولى بعض رموزها مناصب عُليا في دولة البويهيين مثل تولي رأس المعتزلة آنذاك القاضي عبد الجبار أعلى مرتبة في القضاء في الري سنة ٣٦٠هـ، مما جعل بعض الباحثين يرى أن هذا التناغم بين الفكر الاعتزالي والرافضي مؤشراً على ذوبان المعتزلة في الفرق الأخرى، ولذا عدَّ بعض العلماء القاضي عبد الجبار -وهو رأس المعتزلة في زمانه- عدَّه شيعياً معتزلياً [١].

بل إن من تتبع شيوخ الرافضة منذ ذلك التأريخ حتى اليوم يجد أنهم يتفقون مع المعتزلة في أهم القضايا الاعتزالية: تقديم العقل على النص.

لكن هذا الذوبان في الفِرق الأخرى لا يعني نهاية الفِكر الاعتزالي، فالفكر ما زال قائماً ويتجدد برموز وشخصيات من الشيعة والسُنَّة، وغيرهم في كل زمان ومكان، والرابط الذي يربط أصحاب هذا الفكر بالمعتزلة قديماً هو اعتماد العقل مرجعاً وحكماً عند تفسير النصوص الشرعية ورد ما سواه، هذه هي السّمة الملازمة للمعتزلة في كل زمان ومكان مهما تباعد تأريخهم وتجددت رموزهم.

وما يقوله المعتزلة المعاصرون اليوم في القرآن الكريم واعتماد العقل مُحكِّماً له هو ما قاله المعتزلة القُدامى عن القرآن الكريم، فقد قال القاضي عبد الجبار: "فاعلم أن الدلالة أربعة: حجةُ العقل، والكتاب، والسُّنة والإجماع، ومعرفة الله

(١) انظر ما قاله عنه الذهبي في "السير" (١٦/٥١٢).



تعالى لا تُنالُ إلاّ بحجة العقل" [١] وها هو في موضع آخر يرتب الأدلة الشرعية حسب تقديسه للعقل، فيقول: "أولها العقل لأنَّ به يُمَيَّزُ بين الحسن والقبيح، ولأنّ به يُعرفُ أنّ الكتاب حُجَّة، وكذلك السُنَّة والإجماع، فهو الأصل في هذا الباب، وإن كنّا نقول: إن الكتاب هو الأصل من حيث أنَّ فيه التنبيه على ما في العقول كما أنّ فيه الأدلة على الأحكام"[٢].

وقال الجاحظ: "وللأُمور حكمان:حكم ظاهرٌ للحواس وحكم باطنٌ للعقول والعقل هو الحجَّة"[٣]، وقال في موضع آخر:"وما الحكم القاطع إلاّ للذِّهن،وما الاستبانة الصحيحة إلاّ للعقل"[٤].

وهذا العضد الإيجي يقول: "لو وجد المعارض العقلي لقُدِّمَ على الدليل النقلي قطعاً"[٥]

ومن قرأ في كتاب "الكشاف" للزمخشري أدرك هذه الحقيقة، بل إن كتابه هذا أضخم وأكبر تفسير لهم، وقد قرّر فيه أن العقل مقدمٌ ليس على القرآن فقط بل على السُّنة والإجماع والقياس ولا غرابة فهو "كبير المعتزلة"[٦] "داعية إلى

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة (ص ٨٨).تحقيق د. عبد الكريم عثمان نشر مطبعة وهبة ط٣/١٩٩٦

(٢) انظر كتاب "فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة" تأليف القاضي عبد الجبار، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٣٩٣هـ، ص ١٣٩.

(٣) انظر كتاب الحيوان (٢٠٧/١). تحقيق عبد السلام هارون نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٤ه

(٤) انظر رسائل الجاحظ "رسالة التربيع والتدوير" (٣ /٥٨).تحقيق شارل بلت طبع في دمشق ١٩٥٥م

(٥) المواقف (٢٠٧/١)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت ١٤١٧هـ.

(٦) قال الذهبي في السير عنه: "العلامة كبير المعتزلة صاحب الكشاف والمفصّل"، سير أعلام النبلاء (١٥١/٢).



الاعتزال"[١]، وشيوخه من كبار المعتزلة، فأبو مُضَر الضبي هو أول من أدخل الاعتزال على أهل خوارزم، وأبو سعد الجشمي نقل عنه الزمخشري كثيراً في التفسير[٢].

هذه المواقف من المعتزلة القدامى هي مواقف المعتزلة المعاصرين مما سيأتي بيانه بل تجاوَزه أحياناً حتى وصل حدَّ الإعجاب بالفكر الاعتزالي والتمجيد والتقديس.

يقول عرفان عبد الحميد عن المعتزلة: "المعتزلة أول مدرسة كلامية ظهرت في الإسلام وكان لها دور كبير في تطوير الفكر الديني والفلسفي فيه، فهي التي أوجدت الأصول العقلية للعقيدة الإسلامية، وجعلت للنزعة العقلية مكانة مرموقة، ورفعت من شأن العقل وأحكامه وقدرته في الوصول إلى الحقيقة" [٣].

ويقول زكي نجيب محمود: "إن أهم جماعة يمكن لعصرنا أن يرثها في وجهة نظرها هي جماعة المعتزلة التي جعلت العقل مبدأها الأساس كلما أشكل أمر"[٤].

بل عدَّ أحمد أمين انكسار شوكة الاعتزال في عهد المتوكل وما بعد ذلك مصيبة من مصائب المسلمين إذ يقول: "في رأيي أنَّ مِنْ أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة"[٥].

ولم يكتفوا بهذا التمجيد والإعجاب والتقديس والنياحة على تراث المعتزلة بل تنادوا للهجوم مرة أخرى على تراث الأمة حتى يأخذ العقل مكانه فيها فطالبوا

---

(١) ميزان الاعتدال (٧٨/٤). تحقيق علي محمد البجاوي نشر دار المعرفة بيروت ط١/١٣٨٢ه

(٢) انظر كتاب الزمخشري لغوياً ومُفسّراً تأليف مرتضى آية الله شيرازي، دار الثقافة للنشر- القاهرة ط١، ١٩٨٠م.

(٣) دراسات في الفِرق والعقائد الإسلامية، ص ١٢٥، نشر مؤسسة الرسالة ١٩٩٧م.

(٤) انظر تجديد الفكر العربي، ص ١١٧، ط٩، دار الشروق- القاهرة.

(٥) ضحى الإسلام (٢٠٢/٣)، مكتبة النهضة المصرية.



"بدراسة التراث الإسلامي دراسة نقدية تفكيكية قادرة على تعريته"[(١)]، وقد فعلوا ذلك، فهذا الذي يطالب بدراسة التراث وتفكيكه ألّف مؤلفات عديدة[(٢)] في الهجوم على النص القرآني بنقد فلسفي لا يقوم على لغة ولا دين ولا عقل حتى قيل عنه: "هو أبرز مفككي النص القرآني والعقل اللاهوتي الذي جسده أو انبنى عليه"[(٣)].

بل أعلنوها صراحةً فقالوا: لا بدّ من قراءة تأريخ التراث بشكل علمي تأريخي لا بشكل تقديسي أسطوري، وطالبوا بالجرأة على أزمنة النص المقدس أي يجب أن يكون مرتبطاً بظروفه وحيثياته الزمكانية.

وأخيراً هذا الاستعراض لفكر القوم وموقفهم من كتاب الله تعالى قديما وحديثاً يختصر لنا المسافة التاريخية بينهم في كلمتين فقط: "وحدة المنطلق وتكرار الجناية"، فمنطلقهم واحد هو تقديم العقل وتقديسه وتعظيمه عند الأولين والآخرين والجناية واحدة من القاضي عبد الجبار إلى محمد أركون [(٤)] ومن معه هي تعطيل النصوص الشرعية اليقينية القطعية من الكتاب والسُنَّة وتعطيلها يعني تعطيل أحكامها مثل النصوص الشرعية في الرِّدة والحدود وغيرها، بل إن المعاصرين زادوا في التفريق بين نصوص القرآن، ففرقوا بين النص الشفهي والنص كتابة، ومؤدى هذا التفريق أن هناك ما فقد من القرآن الشفهي وهناك ما زيد في القرآن النصي، ومعنى هذا أنَّ قوله تعالى عن الكتاب الكريم: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤٢] لا حقيقة له.

---

(١) انظر كتاب "تأريخية الفكر العربي الإسلامي" لمحمد أركون، نشر مركز الإنماء القومي– بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

(٢) مثل كتاب الإسلام أصالة ومعاصرة، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.

(٣) انظر الممنوع والممتنع، علي حرب، (ص ١٢٠).نشر المركز الثقافي العربي سنة ١٩٩٥م

(٤)محمد أركون (١٩٢٨ -2010) مفكر جزائري/فرنسي له توجه ما بعد حداثي (وراء حداثي) ينقد العقل الإسلامي وفكر الحداثة اعتمادا على الأنثروبولوجيا التاريخية.



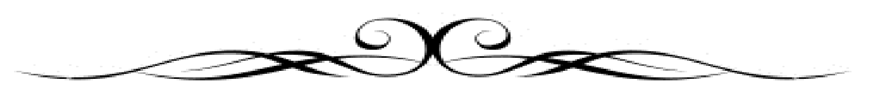
المبحث الأول

أسباب موقف المعتزلة المعاصرين من القرآن الكريم.

ثمة أسباب دعت إلى الثورة من جديد على النص الشرعي تحت ما يُسمى "بتحديث الفكر الإسلامي" وإضفاء الشرعية على الفهم الجديد لما أسمَوْهُ تراثاً لهذه الأمة وتوالت الصيحات التي تدعو إلى التحرير من تراثية التراث أو ماضوية الماضي التي تشدُّ إلى الخلف وتعرقل الإقلاع الحضاري، هكذا زعموا، بل ألقوا بالملامة على المسلمين في هذا العصر لاستمرارهم على منهج السلف نحو التراث، ولم يفعلوا أي شيء لتحرير تراثهم من أغلال المضي وتحرير أنفُسَهم بالتالي من رواسبه وعراقيله وانغلاقاته المزمنة، ويرَوْنَ أنّ اعتزال واصل بن عطاء خارج حلقة شيخه في جامع البصرة الكبير لم يكن مجرد حدث يتناولُهُ المؤرِّخون باعتباره مقدمة لظهور مذهب الاعتزال أو مجرد خبر يتناقلُهُ الرواة حول إشكالية المنزلة بين المنزلتين، وإنما كان موقفاً مُبكراً أو منحازاً للعقلانية بمواجهة النقلية الاتباعية السلفية واستباقاً فكرياً بُرهانياً بمواجهة بدايات التمهيد للعرفانية"(١).

هذه الدعوات للثورة والانقلاب على النص الشرعي وتحرير الفكر العربي من السلفية والنصيَّة تسلط الضوء على موقف المعتزلة المعاصرين من القرآن الكريم وتمجيدهم لكل من فعل ذلك من تلامذة المستشرقين في فرنسا أو غيرها، يُلخِّص هذا الموقف هاشم صالح في مقاله عن محمد أركون عندما قال عنه: "أنه جاء للمسلمين يريد تحريرهم من التصورات الخيالية الموروثة المتراكمة والعقائد الدوغمائية المتحجرة، والسجون الفكرية والأقفاص، فكان يريد تحريرهم من

(١) اعتزال الأمس واليوم، موفق الرفاعي، مقال في صحيفة الأوان الالكترونية بتاريخ الخميس ٣٠ تشرين الأول ٢٠٠٨م.



اليقينيات الإطلاقية التي تتخذ صنعة القداسة والعصومية وهي في الواقع بشرية"(١).

ولعلّ من أهم أسباب الدعوة إلى هذه الثورة على التراث:

١-قوافل العائدين إلى المدرسة السلفية من المدارس الأخرى، والتحولات التي طرأت على بعض أقطاب المدرسة العقلانية في هذا القرن، إضافة إلى استمساك المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بالوحيين.

٢- الدعم المفتوح مالياً وسياسيا وإعلاميا من قبل اليهود والنصارى للمدرسة العقلية وأقطابها المعاصرين الذي تجاوز حدود الدعم البريطاني لأحمد خان (٢) والفرنسي لأركون حتى تقدم هذه المدرسة خيارا تنويرياً للمسلمين بدلاً عن الخيار الأصولي النصي الذي لا يمكن أن يلتقي معهم في منتصف الطريق.

٣- الثورة التقنية المعاصرة فالعالم اليوم يشهد تقارباً معرفياً غير مسبوق، من خلال هذه التقنية التي ربطت الحضارات بعضها ببعض ، وجعلت الكون كله قريةً واحدة ،وإذا كانت الترجمة في عهد المأمون قلبت الأفكار، وبدلت المفاهيم ،وسلخت القيم، وزعزعت الثوابت عند البعض في ذلك الوقت، فكيف بالتقنية الحديثة.

٤-الإبتعاث للدراسة والتدريب والعمل

---

(١) انظر محمد أركون فيلسوف النزعة الإنسانية في الإسلام، هاشم صالح، مقال في مجال الأوان الالكترونية بتأريخ ٢٠ أبريل ٢٠١١م.

(٢) أحمد خان بن أحمد ، ولد في مدينة دلهي في أكتوبر ١٨١٧م. من تأليفه ما أسماه تفسيراً للقرآن وقد نهج في تفسيره نهجا يخالف القرآن نفسه والسنة وإجماع الأمة، ويخالف المنهج العلمي في أبسط صوره. حيث اعتمد في تفسيره القرآن على عقله وهواه توفي "أحمد خان" في الهند ١٨٩٧م، الفكر الإسلامي الحديث، وصلته بالاستعمار العربي. د. محمد البهي، القرآنيون. د. خادم حسين إلهي بخش.



إن من تأمل في تراجم وسير وتأريخ رجالات المعتزلة، من منتصف القرن الماضي إلى هذا القرن سواءٌ من القادة أو الأتباع، يدرك خطورة الإبتعاث للدراسة أو التدريب أو العمل في الغرب أو الشرق، وقراءة سريعةً لرموز الفكر الاعتزالي التجديدي أو التنويري أو العقلاني كما يسمونه يثبت هذه الحقيقة(١) فهناك فارقٌ كبير بين ماكتبوه قبل الإبتعاث وما كتبوه بعده، خصوصاً من كان منهم تحت وصايةِ مستشرق حاقد مغرض(٢)

ولقد انبهر كثيرٌ من المبتعثين لما ابتعثوا إلى الغرب بحضارة القوم فهذا رفاعة الطهطاوي ابتُعث في زمن محمد علي ورجع مُتنكرا لدين قومه،مادحاً حضارة وتمدُن فرنسا(٣)

وكذلك طه حسين حين بُعِث إلى فرنسا فأعجب بها وألف كتابه"في الشعر الجاهلي " الذي ادعى فيه أن الاسلام دينٌ محلي لا دينٌ عالمي.

ومن المعاصرين المتأخرين محمد شحرور المهندس السوري الذي كان مبتعثاً لروسيا لدراسة الهندسة المدنية من عام ١٩٥٨- ١٩٦٤م واكتمل تأثره بالمستشرقين خلال دراسته في إيرلندا " دبلن " لدراسة الماجستير والدكتوراه من عام :١٩٧٠ -١٩٨٠ م من كتبه: "الكتاب والقرآن" وهو قراءة معاصرة، ونظرة جديدة للإسلام، تنطلق من من منطلق فلسفي، ووضع منهج جديد في أصول التشريع الإسلامي يقوم على البينات المادية، وليست الأدلة الشرعية ، ومن كتبه"نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي"وخلص فيه إلى أن التنزيل الحكيم ، تتحرك

---

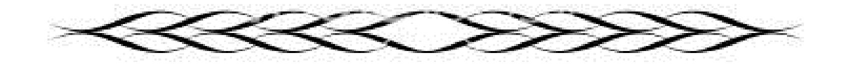
(١) انظر ماكتبه هشام شرابي في كتابه" المثقفون العرب والغرب ص :١٣١ ط١٩٧٨/٢م نشر دار النهار اللبنانية

(٢) محمد أركون نموذجاً فقد كان تحت وصاية المستشرق روبيرت في معهد الدراسات الشرقية بجامعة باريس ثم احتُضن من قبل المستشرق لويس غارديه ثم شارل بيلا مدير المعهد

(٣) انظر كتاب العلمانية نشاتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة د. سفر الحوالي ص:٦٢٤ ط/١ دار الهجرة



مضامينه ومحتوياته مع تحرك السيرورة التاريخية والصيرورة المعرفية. على ضوء ذلك، حدد الدكتور محمد شحرور مفهوم السنة النبوية، واقترح أصولاً جديدة للفقه الإسلامي مخالفا ماكانت عليه هذه الأمة أربعة عشر قرنا.



المبحث الثاني

الشواهد الدالة على ذلك من كتبهم.

لا يحتاج القارئ لمؤلفات ومقالات المعتزلة المعاصرين إلى كبير عناء في العثور على الشواهد لموقفهم من القرآن الكريم الذي تجاوز به موقف المعتزلة القدامى، وقد اتخذوا في هذا الموقف أساليب مُتَعدِّدة يفرضها عليهم سلطان الزمان تارة وسلطان المكان أخرى، ومن هذه الأساليب:

أ- التشكيك بالقرآن أنه وحي منزل من عند الله تعالى.

ب- نَبذهُ وتعطيلُ التحاكم إليه.

ج- تفسير نصوصه تفسيراً عقلانياً مخالفاً للغة والشرع.

<u>**أ-التشكيك بالقرآن أنه وحي منزل من عند الله تعالى.**</u>

وشواهد هذا الأسلوب من أساليبهم كثيرة جداً، فمن ذلك:

١- **يقول زكي مبارك** في كتابه "النثر الفني في القرن الرابع الهجري": "والقرآن نثر جاهلي والسجع فيه يجري على طريقة الجاهلية حين يخاطب القلب والوجدان، ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات، ومواقف الخوف والرجاء، سوراً مسجوعه تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنية"(١).

فالكاتب هنا يعتقد أن الرسول هو الذي أنشأ القرآن ورواه.

٢- **محمد أحمد خلف الله** سار في رسالته الدكتوراه على طريقة أساتذته من ملاحدة المستشرقين في إثبات التناقض في القرآن، وأن أخباره لا يعول عليها في حقائق التأريخ. يقول في رسالته: "القرآن يتقول على اليهود، ويتقول أموراً لن تحدث ويقرر أمراً خافياً أو أسطورياً، ثم يعود نقيضه ويزيد وينقص بكم الحرية

(١) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر ص ٣٨٧-٣٨٨، نشر مكتبة الكوثر، ط١/ ١٤١٧هـ.



الفنية" [١]ويرى أن القصة القرآنية هي من باب التمثيل، وهو ضرب من فنون البيان العربي، يعتمد على الواقع وعلى العرف والخيال.. ويرى فيها اللون الأسطوري، ولا يلزم في الأشخاص أن يكونوا وُجدوا، ولا في الجوار أن يكون قد صدر"[٢].

٣- **ويقول الدكتور طه حسين** وهو يملي على طلابه في كلية الآداب: " إن في القرآن أسلوبين مختلفين كل الاختلاف أحدهما جاف مستمد من البيئة المكية، فيه تهديد ووعيد وزجر وعنف، وغضب وسباب ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ [المسد:١]،

فلما هاجر النبي إلى المدينة، تغير الأسلوب بحكم البيئة أيضاً، فقد كان هنالك اليهود، وبينهم التوراة، فأصبح الأسلوب ليناً وديعاً، مسلماً تلوح عليه أمارات الثقافة والاستنارة"[٣].

أي أن القرآن يتغير أسلوبه حسب البيئة، وهو في مواطن أخرى كان يشير إلى مصادر للقرآن عند اليهود والنصارى، وشعر أمية بن أبي الصلت"[٤].

٤- **يقول محمد أركون:** "نحن نجد أنّ جيل الصحابة هو وحده الذي رأى وسمع وشهد الظروف الأولى والكلمات الأولى التي نُقلت فيما بعد على هيئة القرآن والحديث والسيرة، وإنه لمن الصعب تاريخيا إن لم يكن من المستحيل التأكيد على القول بأن كل ناقل قد سمع بالفعل ورأى الشيء الذي نقله على الرغم

---

(١) انظر: الفن القصصي في القرآن محمد خلف الله ص ٢٦ نشر مؤسسة الانتشار العربي ١٩٩٠م

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر ص ٣٨٧-٣٨٨، نشر مكتبة الكوثر، ط١/ ١٤١٧هـ.

(٣) المصدر السابق ص ٣٨٨.

(٤) المصدر السابق.



من هذه الحقيقة، فالنظرية التيولوجية (العقيدة الدينية) المزعومة قد فرضت بالقوة فكرة أن كل الصحابة معصومون في شهاداتهم ورواياتهم" (١)

٥- وعندما تحدث أركون عن الخطاب الشفهي والخطاب المدون في القرآن الكريم قال حكمة خطيرة: إن هذا التميز بين المرحلتين سيؤكد على أن المصحف الذي نملكه اليوم ليس هو القرآن كما نطق به النبي صلى لأول مرة، بل إن الانتقال به من المرحلة الشفوية إلى المرحلة الكتابية قد عرَّضه إلى كثير من التعديل في ضوء ما يقتضي نظام الكتابة الأرثوذكسي...، ويقول عن القرآن: هو عبارة عن مجموعة من العبادات الشفهية البداية ولكنها دوِّنت كتابة ضمن ظروف تاريخية لم توضَّح حتى الآن، أو لم يُكشف عنها النقاب ثم رفِعَت هذه المدونة إلى مستوى الكتاب المقدس بواسطة العمل الجبَّار والمتواصل لأجيال من الفاعلين التاريخيين"(٢)

٦- ويقول عبد المجيد الشرفي عن جمع الصحابة للقرآن ومشككاً باتفاقهم في زمن عمر رضي الله عنه قال: فمن المعروف أن الصحابة أنفسهم لم يكونوا في البداية متفقين حول مشروعية هذا الجمع الذي لم يقم به النبي، ولم يأمر به"(٣). وهذا ما يؤيده نصر أبو زيد عندما قال: إن عملية جمع القرآن وتثبيت قراءة

---

(١) انظر كتاب موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام دراسة تحليلية نقدية، للدكتور محمد بن حجر القرني ص ٣٣٥، ط١/ ١٤٣٤هـ نشر مجلة البيان نقلاً عن كتاب الفكر الإسلامي لأركون.

(٢) انظر كتاب الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون ص ٤١- ٤٥ بتصرف، ترجمة هاشم صالح، نشر دار الساقي- بيروت، ط١/ ٢٠٠٢م.

(٣) انظر الإسلام بين الرسالة والتأريخ، ص ٤٩، نشر دار الطليعة- بيروت، ط٢/ ٢٠٠٨م.



النص على لسان قريش كان جزءاً من التوجيه الإيديولوجي للإسلام لتحقيق السيادة القرشية"(١)

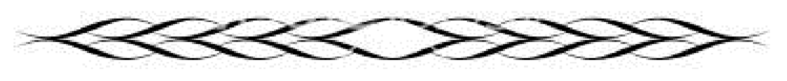
٧- ويقول العراقي الشيعي غالب حسن الشابندار في مقال له بعنوان: فراغات النص القرآني... من يملأها وكيف"(٢). زعم فيه أن هذه الفراغات التي تدل على أن النص القرآني غير متماسك، ثم يجيبُ على تساؤله بقوله: "العقل بهذا يملأ فراغات القرآن" و هذه المقالة سبقه بها مستشرقون حاقدون على الإسلام وكتابه العظيم مثل المستشرق الفرنسي هنري ماسيه وغيره.

٨- ومن الشواهد ما قاله حسن الترابي مؤسس الجبهة القومية بالسودان فهو يرى أنه لا ضابط لتفسير القرآن إلا العقل من غير قيود أو حدود، ويقول أيضاً: إن تحقيق المنفعة وتلبية احتياجات الواقع هو الذي ينبغي أن يحكم اجتهادات العالم وليست نصوص الوحي، وقال أيضاً: علينا أن ننظر في أصول الفقه الإسلامي، وفي رأيي أن النظرة السليمة لأصول الفقه تبدأ بالقرآن الذي يبدو أننا محتاجون فيه إلى تفسير جديد، فإذا قرأتم التفاسير المتداولة بيننا تجدونها مرتبطة بالواقع الذي صِيغت فيه، كل تفسير يُعبّرُ عن عقلية عصره إلا هذا الزمان لا تكاد نجد فيه تفسيراً عصرياً شافياً"(٣).

وبعد ذكر هذه الشواهد التي ذكرنا البعض منها لا بدّ من الإشارة إلى أن هذه التأويلات وغيرها التي وقعت على أشرف كتاب، وأشرف علم وحامت حَولَه لا تُقَرّب النص للقارئ، بل تجعله يعيش في سرداب مظلم وبناءً على ذلك لا يسوغ اتخاذها أساساً لفهم هذا الدين لا فكراً ولا سلوكاً ولا حضارة، لأنها لا تتمتع بمرجعية شرعية تُبوئها المقعد اللائق في تفسير دلالات النصوص.

---

(١) انظر كتاب الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية، ص ١٥ن نصر أبو زيد، نشر المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١/ ٢٠٠٧م.
(٢) مقال له نُشر في مجلة إيلاف الالكترونية بتأريخ ١٠ مارس ٢٠٠٩م.
(٣) تجديد الفكر الإسلامي، ص ٢٥- ٢٦.



إنّ من يتناول القرآن بالتوضيح والتفسير والبيان لا بدّ أن يُدرك حقيقة مهمة، وهي: أن القرآن كتاب لكل زمان ومكان، ولكل عصر وجيل، فهو غير قابل للتأقيت لأنه يتضمن كلمات الله الباقية وهدايته المستمرة.

ب-نبذ القرآن الكريم وإقصاؤه وتعطيل التحاكم إليه.

وهذا مأثور مشهور عن المعتزلة المعاصرين فالأب الروحي للعقلانيين والمعتزلة الجدد بعد جمال الدين الأفغاني محمد عبده يقول عن الكتب المنزلة من عند الله ومنها القرآن الكريم: " وقد اتفق المسلمون إلاّ قليلاً منهم ممَّن لا يُعتدُّ برأيه على أن الاعتقاد بالله مقدَّمٌ على الاعتقاد بالنبوات، وأنه لا يمكن الإيمان بالرسل إلاّ بعد الإيمان بالله، فلا يصح أن يؤخذ الإيمان بالله من كلام الرسل، ولا من كلام الكتب المنزلة"(١).

ويقول حسين أحمد أمين: القطع الذي قرره القرآن عقاباً للسارق هو شريعةٌ بدوية مثل عقيدة القدر، وكذلك الحجاب كان مناسباً للمدينة المنورة، ولم يُعَد مناسباً للقاهرة في القرن العشرين"(٢).

ويقول عبد العزيز جاويش: "اعلم أن المعتزلة يقولون بعدم بعد جواز أن يتزوج الرجل ثانية ما دامت الأولى في عصمته، وما ذلك إلاّ لأنهم تتبعوا ما يجلبهُ ذلك من المفاسد والمضار، وعرفوا أنَّ من أصول الشريعة المحمدية إعطاء الوسائل ما للغايات من الأحكام، فرأوا آثار تعدد الزوجات كثيرة سيئة لا يستحسنُها عقل، ولا يرضى بها شرعٌ فحكموا بتحريمه"(٣).

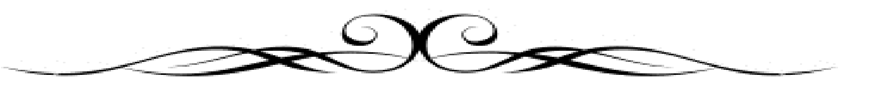
ويقول أيضاً في موضع آخر وموضوع آخر كذلك مثْنِياً على كلام مالك بن نبي في المرأة: وكان رأي مالك بن نبي في قضية المرأة مُنصفاً إلى حد كبير،

---

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ص ٥٤- ٥٥، ط٧/ ١٣٦٧، دار المنار بالقاهرة.

(٢) حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية ص٢٧ دار سعاد الصباح الكويت تاريخ النشر ١٩٩٢م

(٣) انظر كتاب: الإسلام دين الفطرة والحرية ص ١٢١.



فهو لا يناصر النزعة الأوربية كاملة، ولكنه لا يتقبل الصورة التقليدية للمرأة في الفكر الإسلامي الشائع من إيجاب للحجاب، وتحريم للاختلاط"(١).

ج-تفسير نصوصه تفسيراً عقلياً مخالفاً للقرآن والسُّنة واللغة.

سلك المعتزلة المعاصرون في تفسير القرآن الكريم مسلكاً يتسم بفهم النص القرآني من خلال معارفه وتجاربهم الذاتية، لأنهم كانوا يزعمون أنه لا يمكن الاعتماد على فهمه من خلال التفاسير القديمة التي اشتملت على كثير من الخرافات.

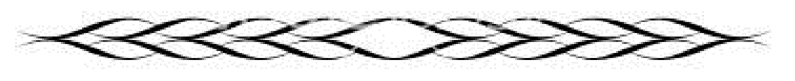
ومن تأمل في تفاسير هذه المدرسة العقلية المعاصرة وجد هذا جلياً، ومن ذلك:

١- الزعم بأن تفسير السلف للقرآن انتهى زماناً ومكاناً.

يرى المعتزلة المعاصرون أنَّ تفسير السلف للقرآن انتهى زماناً ومكاناً وأننا نحتاج إلى تفسير عصري، ففي ضوء الظروف الإنسانية، لا يمكن الاعتماد في فهم القرآن على التفاسير القديمة التي اشتملت على كثير من الخرافات (كما يزعمون)، ولكن ينبغي فهم النص القرآني من خلال معرفتنا وتجاربنا الذاتية... إذ من مزايا القرآن الفذة أنه كلما ازدادت معرفتنا بهذا العالم وازدادت تجاربنا كلما تكشفت لنا آياته عن معانٍ ثرة جديدة، لم تخطر من قبل، وقد يختلف فهمنا لآية من القرآن مع فهم المفسرين الأوائل، وقد يكون هذا الاختلاف حاداً وواسعاً أحياناً، بل ومتناقضاً مع آراء من سبقونا، ولا غبار في ذلك لأن المفسرين الأولين فهموا نصوص القرآن على ضوء اللغة والسنة جنباً إلى جنب مع المعارف العامة المتاحة لهم، وما تجمع لدى المجتمع الإنساني حتى عصرهم من تجارب عامة. ولا يبتعد عما سبق رأي الدكتور حسن الترابي إذ يقول: (وعلينا أن ننظر في أصول الفقه الإسلامي، وفي رأيي أن النظرة السليمة لأصول الفقه تبدأ بالقرآن الذي يبدو أننا محتاجون فيه إلى تفسير جديد، فإذا قرأتم التفاسير المتداولة بيننا

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٥.



تجدونها مرتبطة بالواقع الذي صيغت فيه، كل تفسير يعبر عن عقلية عصره، إلا هذا الزمان لا نكاد فيه تفسيراً عصرياً شافياً"(١).

ويقول محمد شحرور المهندس السوري: إننا في القرآن والسبع المثاني غير مقيدين بأي شيء، قال السلف: إننا مقيدون فقط بقواعد البحث العلمي والتفكير العلمي وبالأرضية العلمية في عصرنا"(٢).

ويقول جمال البنا محذراً من تفسير القرآن بتفسير السلف: "إن الرجوع إلى هذه التفاسير كان من أسباب تخلف المسلمين، لأنها قدّمت صورةً مشوهةً للقرآن الكريم، ولا يخطر ببالنا ما يخطر ببال البعض عن تنقية هذه التفاسير لأن تنقيتها لن تُبقي إلاّ على العشر مما فيها"(٣).

٢- استبدال الأدلة الشرعية بالأدلة الحسية.

وقد نادى بذلك جودت سعيد في تفسيره لقوله تعالى:﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [فصلت: ٥٣]، وهذه إحدى نظريات علم الاجتماع الوضعي يقول: هذه الآية تنقل أدلة موضوع الفكر الديني الذي تقرره آيات الآفاق والأنفس، وهذه النقلة البعيدة المدى لم تكن البشرية مهيأة لها من قبل، بل لا تزال غير مهيأة لها حتى الآن ....، وهذا ما جعل مصدر أدلة العلم والأديان مختلفة في أذهان العالم

---

(١) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر ص ٢١٨-٢١٩، نشر مكتبة الكوثر، ط١/ ١٤١٧هـ.

(٢) انظر الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص ٩١.

(٣) انظر تجديد الإسلام وإعادة تأسيس منظومة المعرفة الإسلامية، ص ٢٣٣، دار الفكر الإسلامي.



المعاصر فجعلوا الدين غير العلم، وأن مصدر العلم من الواقع ومصدر الدين من الغيب"(١).

٣- تفسير نصوص القرآن تفسيراً عقلياً بحتاً، ومن ذلك:

أ- تفسير رشيد رضا للإمداد بالملائكة في سورة الأنفال تفسيراً غريباً، فيقول: "وظاهر نص القرآن أنه إنزال الملائكة وإمداد المسلمين بهم فائدة معنوية، وأنهم لم يكونوا محاربين"، ثمّ قال مستهزئاً وساخراً: " وَمَا أَدْرِي أَيْنَ يَضَعُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عُقُولَهُمْ عِنْدَمَا يَغْتَرُّونَ بِبَعْضِ الظَّوَاهِرِ وَبَعْضِ الرِّوَايَاتِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي يَرُدُّهَا الْعَقْلُ ، وَلَا يُثْبِتُهَا مَا لَهُ قِيمَةٌ مِنَ النَّقْلِ "(٢)

ب- ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى:﴿ **وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ [الفلق: ٤]، قال: النحامون المقطعون لأوامر الألفة (٣).

ج- ومن ذلك ماقاله عن الجن إذْ يقول:"ورد أن الجن أنواع منها ما هو من الحشرات وحشائش الأرض"(٤) ويقول أيضاً: (وفعل جنة الشياطين في أنفس البشر كفعل هذه الجنة التي يسميها الأطباء الميكروبات في أجسادهم وفي غيرها من أجسام الأحياء تؤثر فيها من حيث لا ترى فتتقى). (٥)

هـ - محمود شلتوت إذْ يقول: ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وإنه حي إلى الآن فيها وأنه سينزل آخر الزمان إلى الأرض). (٦)

---

(١) انظر المدرسة العقلية في نظرتها المادية، محمد حامد الناصر، ص ١٣٤، نشر دار الكوثر- الرياض، ط١/١٤٢٥هـ.

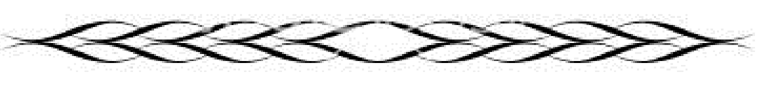
(٢) تفسير المنار (٩/٥١٠)،

(٣) تفسير المنار (٢/٥٦١)، وكذلك (٩/٥٦٦).

(٤) تجديد الفكر الديني في الإسلام ص١٩٧

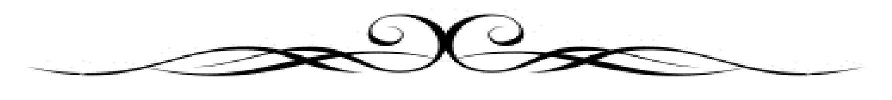
(٥) تفسير المنار ج١ ص٢٨٠

(٦) مجلة الرسالة ، العدد : ٤٦٢ ، بتاريخ ١١/٥/١٩٤٢ م.



و- ويقول محمد عمارة في تفسير قوله تعالى"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ" [آل عمران: ١٩] (دين الله واحد وهو الإسلام "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ" [آل عمران: ١٩] لكن الإسلام الذي هو دين الله الواحد ليس هو فقط كما يظن البعض شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، والمسلمون ليسوا فقط أتباع محمد صلى الله عليه وسلم). [١]

(١) مجلة الرسالة ، العدد : ٤٦٢ ، بتاريخ ١٩٤٢/٥/١١ م.



المبحث الثالث

الآثار المترتبة على هذا الموقف.

١- نزع القداسة عن المصدر الأول من مصادر التشريع في الأمة وهو القرآن الكريم فعندما يطالب المعتزلة المعاصرون بدراسة القرآن ونقده فهم لا يهدفون بيان معجزاته وبلاغته، بل الطعن فيه والإقصاء له وإلا ماذا نفهم من كلام حامد أبي زيد عندما يقول " النص القرآني نصٌ لغويٌ لا تمنع طبيعته الإلهية أن يدرس ويُحلَّل بمنهج بشري" [١].

ولذا فهم يتعاملون مع آيات القرآن كتعاملهم مع أي نص شرعي ليس له أيّ مكانةٍ أو قداسةٍ، وهذا توجهٌ خطيرٌ له أبعاده وآثاره، يقول: علي حرب: "لا نص مقدس، ولا نص معظم كل النصوص سواء"[٢].

٢- إقصاء التراث الخالد للصحابة والتابعين وأتباع التابعين الذين فسروا القرآن بناءً على مشاهدة الوحي ومرافقة نبي هذه الأمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والاكتفاء بالتعامل المباشر المعاصر مع نصوص القرآن لأن التراث السابق غير دقيق كما يقول أركون[٣]، ويطالب به تلميذه المخلص له عبد المجيد الشرفي"[٤] مع أنه تراث مبنيّ على النص الصريح والعقل الصحيح لأن أصحابه هم أكمل الناس عقلاً وأعدلهم قياساً، وأصوبهم رأياً، وأصحهم نظراً، وأهداهم استدلالاً، وأقومهُم جدلاً، وأتمهم فراسةً، وأصدقهم إلهاماً.

---

(١) نقد الخطاب الديني ص ١٢.

(٢) انظر نقد النص، ص ١١- ١٤، المركز الثقافي العربي- بيروت، ط١/ ١٩٩٣م.

(٣) تأريخية الفكر العربي لمحمد أركون ص ٤٤.

(٤) الإسلام بين الرسالة والتأريخ، عبد المجيد الشرفي ص ٦٤.



٣- تعطيل الأحكام الشرعية التي قرّرها القرآن الكريم كحدّ الردة والسرقة والزنى، لأن تعامل هؤلاء مع نصوص القرآن بفهم معاصر يعني تجميد هذه الأحكام القرآنية في ضوء أسبابها وحدودها التاريخية فلا يجوز أن تُحمل الأحكام القرآنية بصفة آلية على الإطلاق والتعميم، كما كان يفعله الفقهاء القدامى(١).

٤- التشكيك في كمال الشريعة وصلاحها لكل زمان ومكان.

نصَّ القرآن الكريم على كمال الدين وتمامه في آية سورة المائدة التي نزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى:﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾ [المائدة: ٣] وهي الآية التي قال يهود لعمر: **لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا قَالَ أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا} قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْم جُمُعَةٍ**(٢).

فهذه الآية التي بينت أن الدين كمُل ورسخت قواعده واتضحت معالِمُه هي محل نظر ومراجعة من قِبل هؤلاء وادعاء اكتمال الشريعة –كما يقولون- بناءً على هذه الآية مغالاة في الاستنتاج والاستخراج وإثقال غير مشروع لها ولمقاصدها الحقيقية(٣).

٥- حماية الملحدين والزنادقة الذين اتخذوا آيات الله هزواً.

---

(١) القرآن والتشريع قراءة جديدة في آيات الأحكام، للصادق بلعيد ص ٢٩٤.

(٢) صحيح البخاري، باب زيادة الإيمان ونقصانه (٤٥).

(٣) القرآن والتشريع ص ٢٩٥.



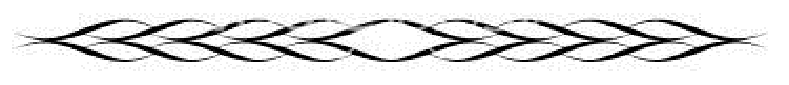
وهذا أمرٌ مستفيض في كتبهم ومؤلفاتهم ومقالاتهم فخالص جلبي يتألم لإعدام محمود طه في السودان بتهمة الرِّدة، فيقول: وتحت شعار تطبيق الشريعة الإسلامية أُعدمَ محمود محمد طه في السودان لرؤيا رآها فُسّرت أنها كُفر"[1]

وهذا معتزلي آخر وهو جودت سعيد يُسمي الجاحظ شهيداً، ويقول عنه: "يتألق نجمُهُ على مرِّ الزمن، وله مقام في الحضارة الإسلامية"[2]

---

(١) انظر كتاب خالص جلبي، سيكولوجية العنف ص ٣٦، نشر الفكر المعاصر- دمشق، ط١/ ١٩٩٩م.

(٢) انظر اقرأ وربك الأكرم لجودت سعيد ص ٣٠.



الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

وبعد هذه الجولة في أطراف هذا الموضوع سبباً وشاهداً وأثراً لا بد من وقفات أختتمها به مُستعيناً بالله تعالى، فأقول:

أ-إن هذه الجرأة التي مارسها ويمارسها المعتزلة الجدد مع القرآن الكريم سوف تؤدي إلى آثارٍ وعواقبَ فكرية تزيد من تخلُّف الأمة وتفرُّقها وتشغلها بالكلام الباطل عن العمل المفيد، إذ أنّ مؤداها أن تفسير القرآن الكريم كلأً مباحاً لكل أحد من غير ملكة أو تأهيل، بل بالطريقة التي ينطبعُ فيها القرآن في نفس القارئ، فالصوفي يفسر بما يريد، والشيعي كذلك، والعقلاني كذلك بلا شرط أو قيد، و هذا يؤدي بلا محالة إلى أن تشطط الأفهام وتُفرق الأمة في فهم كتاب ربها، ومن ثمّ في العمل به(١).

ب-إن غياب القيادات المتخصصة في العلم الشرعي وفي علم العقيدة بشكل خاص أفرز مثل هذه الأطروحات المعاصرة والمصطلحات الضبابية وتبعتها أفكار ورؤى تنذر بخطر داهم إن لم يعود العلماء الربانيون لقيادة الأمة ولذا فإن جزءاً من المعالجة عودة المسجد لدوره السابق، وتشجيع الدورات التأصيلية في سائر العلوم الشرعية.

ج-لا بد من إحياء فقه أهل السُنةِ والجماعة مع المبتدعة ورفع شعاره بلا مؤاربة ومداهنة كما دلّت على ذلك نصوص الوحيين الكريمين، وسير سلف هذه الأمة، وبدون ذلك لن يُحمى جناب التوحيد، ولن يعرفَ الناس حق الله على العبيد، ولن يميزوا بين القول الهزيل والرأي السديد.

د-ليست ثمة مشكلة في قراءة جديدة للقرآن الكريم لكنها لا بد أن تكون على هدي النبوة ولا بد أن تُقرأ بالقراءة النبوية، ولا بد أن تخالف القراءة الغربية التي

---

(١) انظر كتاب نهج الاعتدال في الاتجاهات الفكرية المعاصرة بتصرف، للأستاذ ظافر سعيد شرقة ص ٢٩٤، الطبعة الثانية ١٤٣٥ه، نشر مركز الفكر المعاصر- الرياض.

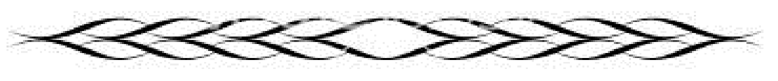


قامت على أساس مواجهة المؤسسات الكنسية التي مارست وصايتها على الدين والثقافة، وتسببت في حروب مزقت المجتمع الغربي فتصارعت القراءة الغربية مع هذا الواقع المظلم أما في الإسلام فالتجديد يقوم على أساس التفاعل مع الدين لا التصارع معهُ(١).

إنّ الانتفاع بالمناهج الحديثة في معالجة معاني الآيات يحتاج إلى ضوابط تعصم التفسير الحديث من مزالق الإسقاط الخارجي، ومن عواقب تحميل النص ما لا يحتمل وتُمكِّن من الانتفاع الجديد في حل مشكلات المجتمع الحديث دون التحرُّج من مجاوزة حرفية النص و الربط الموفق الدقيق بين مقاصد النص القرآني وبين مشكلات المجتمع المعاصر(٢).

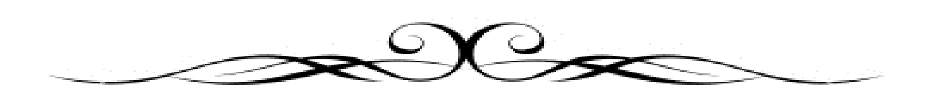
نسأل الله تعالى التوفيق والتسديد والصواب، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد و على آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر الفصل الذي عقده الدكتور عبد الرحمن بودرع في كتابه الخطاب القرآني ومناهج التأويل بعنوان: القراءة الحديثة المبدعة وتصحيح مذهب المؤولة الجدد ص ٧٤، نشر مركز الدراسات القرآنية بالمغرب، ط١/ ١٤٣٥هـ.
(٢) المرجع السابق ص ٢٢.



فهرست المصادر والمراجع

١) الإسلام بين الرسالة والتأريخ، عبد المجيد الشرفي نشر دار الطليعة- بيروت، ط٢/ ٢٠٠٨م.
٢) الإسلام دين الفطرة والحرية عبد العزيز جاويش دار النشر:دار الكتاب المصرى ؛ط.٢٠١١
٣) الاتجاهات الوطنية، محمد محمد حسين، طبع مؤسسة الرسالة بيروت ط٧/١٤٠٢هـ.
٤) اعتزال الأمس واليوم، موفق الرفاعي، مقال في صحيفة الأوان الالكترونية بتاريخ الخميس ٣٠ تشرين الأول ٢٠٠٨م.
٥) اقرأ وربك الأكرم جودت سعيد ط/١ دمشق – وبيروت ت.١٩٨٨م
٦) الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية، نصر أبو زيد، نشر المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١/ ٢٠٠٧م.
٧) تأريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، نشر مركز الإنماء القومي- بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
٨) تأريخية الفكر العربي لمحمد أركون ترجمة هاشم صالح ط/٢ ت.١٩٩٦ دار الانماء القومي بيروت
٩) تجديد الإسلام وإعادة تأسيس منظومة المعرفة الإسلامية، ص ٢٣٣، دار الفكر الإسلامي.
١٠) تجديد الفكر الإسلامي حسن الترابي دار القرافي للنشر والتوزيع، المغرب، الطبعة/١ دون تاريخ.
١١) تجديد الفكر العربي، ط٩، دار الشروق- القاهرة.
١٢) تفسير المنار الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م
١٣) تفسير جزء عمّ ، نشر مكتبة محمد علي صبيح- القاهرة ١٣٨٧هـ.
١٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي تحقيق محمد زاهد



الكوثري نشرالمكتبة الأزهرية للتراث – مصر

١٥) الجامع الصحيح ((سنن الترمذي))، أبو عيسى محمّد بن عيسى السّلمي التّرمذي، دار إحياء التّراث

١٦) الخطاب القرآني ومناهج التأويل، عبد الرحمن بودرع، نشر مركز الدراسات القرآنية بالمغرب، ط١/ ١٤٣٥هـ.

١٧) حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية، دار سعاد الصباح الكويت تاريخ النشر ١٩٩٢م

١٨) دراسات في الفِرق والعقائد الإسلامية، نشر مؤسسة الرسالة ١٩٩٧م.

١٩) رسائل الجاحظ "رسالة التربيع والتدوير" تحقبق شارل بلت طبع في دمشق ١٩٥٥م

٢٠) الزمخشري لغوياً ومُفسّراً تأليف مرتضى آية الله شيرازي، دار الثقافة للنشر– القاهرة ط١، ١٩٨٠م.

٢١) سنن ابن ماجه، محمّد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار الفكر– بيروت.

٢٢) سنن أبي داود، سُليمان بن الأشعث الأزدي أبو داود السِّجِسْتَاني، دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٢٣) سير أعلام النُّبلاء، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله الذّهبي ، مُؤسّسة الرّسالة– بيروت، الطّبعة التاسعة ١٤١٣ه.

٢٤) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار تحقيق د.عبد الكريم عثمان نشرمطبعة.وهبة ط١٩٩٦/٣

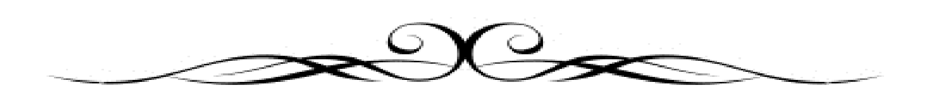
٢٥) صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجُعْفي البُخاري ، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هــ.

٢٦) صحيح مُسلم، مُسلم بن الحجّاج أبو الحُسين القُشَيْري النَّيْسَابُوري، دار إحياء التّراث العربي– بيروت، بدون.

٢٧) ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية.ت –١٩٣٥م



٢٨) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، نشر مكتبة الكوثر، ط١/ ١٤١٧هـ.
٢٩) العلمانية نشاتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة د.سفرالحوالي،دار الهجرة ط/١.
٣٠) الفَرق بين الفِرق لعبد القاهر البغدادي دار الآفاق الجديدة بيروت ط١٩٧٧/٢
٣١) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، القاضي عبد الجبار، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٣٩٣هـ.
٣٢) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد. نشر المؤسسة الجزائرية الوطنية للكتاب ترجمة هاشم صالح
٣٣) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، نشر دار الساقي- بيروت، ط١/ ٢٠٠٢م.
٣٤) القرآن والتشريع قراءة جديدة في آيات الأحكام، الصادق بلعيد منشورات الحلبي الحقوقية تاريخ النشر ٢٠٠٤
٣٥) كتاب الحيوان للجاحظ تحقبق عبد السلام هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٤ه
٣٦) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة نشر مطبعة الأهالي بسوريا بدون تاريخ
٣٧) مجلة إيلاف الالكترونية بتأريخ ١٠ مارس ٢٠٠٩م.
٣٨) مجلة الرسالة مجلة الرسالة ، العدد : ٤٦٢ ، بتاريخ ١٩٤٢/٥/١١ م .
٣٩) محمد أركون فيلسوف النزعة الإنسانية في الإسلام، هاشم صالح، مقال في مجال الأوان الالكترونية بتأريخ ٢٠ أبريل ٢٠١١م.
٤٠) المدرسة العقلية في نظرتها المادية، محمد حامد الناصر، نشر دار الكوثر- الرياض، ط١٤٢٥/١هـ.
٤١) مسند الإمام أحمد بن حنبل مُؤسّسة، أحمد بن محمّد بن حنبل أبو عبد الله



الشّيباني، قرطبة – القاهرة.

٤٢) المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد عبد الله المعتق، نشر دار العاصمة- الرياض ط١، ١٤٠٩هـ.

٤٣) المِلل والنِّحل للشهرستاني نشر مؤسسة الحلبي بدون تاريخ نشر

٤٤) الممنوع والممتنع، علي حرب نشر المكتب الثقافي العربي بيروت١٩٩٥

٤٥) المواقف، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت ١٤١٧هـ.

٤٦) موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام دراسة تحليلية نقدية، للدكتور محمد بن حجر القرني ص ٣٣٥، ط١/ ١٤٣٤هـ نشر مجلة البيان نقلاً عن كتاب الفكر الإسلامي لأركون.

٤٧) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي نشر دار المعرفة بيروت ط١/١٣٨٢هـ.

٤٨) نقد الخطاب الديني نصر حامد ابو زيد ط/٢ نشر دار سينا للنشر القاهرة ت.١٩٩٤

٤٩) نهج الاعتدال في الاتجاهات الفكرية المعاصرة بتصرف، للأستاذ ظافر سعيد شرقة، الطبعة الثانية ١٤٣٥ه، نشر مركز الفكر المعاصر- الرياض.

٥٠) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ط٧/ ١٣٦٧، دار المنار بالقاهرة.

٥١) نقد النص، المركز الثقافي العربي- بيروت، ط١/ ١٩٩٣م.

٥٢) سيكولوجية العنف، خالص جلبي، نشر الفكر المعاصر- دمشق، ط١/ ١٩٩٩م.

٥٣) الإسلام بين الرسالة والتأريخ، نشر دار الطليعة- بيروت، ط٢/ ٢٠٠٨م.

